IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJEPS
Vol 30, No 4, 2022, pp 593 -613

Received on (28-02-2022) Accepted on (07-05-2022)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.4/2022/24

Characteristics of ancient civilizations and the impact of religion and philosophy on those civilizations

Noura M. Al Hababi[*1]
Department of Creed and Da'wah - College of Sharia and Islamic Studies - Qatar University[*1]
[*]Corresponding Author: misoonnasr@gmail.com

Abstract:

The aim of the research is to stand on the most important ancient civilizations, and to provide a brief idea about them, before moving on to identify their characteristics that were the reason for their antiquity, and an important factor of their immortality, and to shed light on the two sides of religion and philosophy in the establishment of those civilizations, and their role in controlling their systems and consolidating their foundations. The study relied on the historical method for its relevance to the objectives of the study, and the study concluded that most ancient civilizations originated on the banks of rivers, which reflects human awareness and the development of his awareness in order to move from the state of searching for food to securing it permanently and continuously, and the existence of commercial relations between the owners of those civilizations. This is proven by the archaeological assets belonging to other civilizations in the land of a civilization, and the innate human need for religion, which reflects the importance of religion and belief on the human spirit and its need for tranquility and safety.

Keywords: Civilizations, religion, philosophy, characteristics, ancient**.**

عنوان البحث باللغة العربية

نوره مسعود الحبابي [1]
قسم العقيدة والدعوة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة قطر [1]

الملخص:

هدف البحث إلى الوقوف على أهم الحضارات القديمة، وتقديم فكرة موجزة عنها، قبل الانتقال للتعرف على خصائصها التي كانت سبباً في عراقتها، وعاملاً هاماً من عوامل خلودها، وتسليط الضوء على جانبي الدين والفلسفة في قيام تلك الحضارات، ودورهما في ضبط أنظمتها، وترسيخ أسسها، واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي لملائمته لأهداف الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى أن معظم الحضارات القديمة نشأت على ضفاف الأنهار، وهو ما يعكس وعي الإنسان وتطور إدراكه في سبيل الانتقال من حالة البحث عن الغذاء إلى تأمينه بشكل دائمٍ ومستمرٍ، ووجود علاقات تجارية بين أصحاب تلك الحضارات، وهو ما أثبتته الموجودات الأثرية التي تعود إلى الحضارات الأخرى في أرض حضارة ما، وحاجة الإنسان الفطرية إلى الدين، مما يعكس أهمية الدين والمعتقد على الروح الإنسانية وحاجتها إلى الطمأنينة والأمان.

كلمات مفتاحية: الحضارات، الدين، فلسفة، خصائص، قديمة.

المقدمة:

تعد الحضارة الوجه الآخر للإنسان، وقد ارتبطت به وارتبط بها من خلال التاريخ الذي وثَّق علاقتهما؛ ولهذا فالحضارة مفهوم قديم قدم الإنسان على وجه الأرض.

ويمكن تعريف الحضارة بأنها ثمرة التفاعلات العقلية والسيكولوجية بين الإنسان ومحيطه في سبيل الوصول إلى حياة ترتقي به وبمجتمعه إلى مصاف التقدم والازدهار، مع الأخذ بعين الاعتبار درجة تأثير حضارة ما في حضارة مزامنة لها وتأثُّرها بها، وعليه فإن التراث الإنساني الذي تستمد منه الحضارات الحالية أصولها يعود إلى الحضارات القديمة. [1]

وهذا البحث يُقدم موجزاً عن أهم خصائص تلك الحضارات، وإظهار دور الدين والفلسفة في بلورتها، لا سيما أن الدين والفلسفة من أهم العناصر وأكثرها فاعلية في الحضارة. بالإضافة إلى دورهما في تحديد ضوابط الحضارة، وترسيخ أسسها، وإبراز معالمها.

أهمية البحث:

إنّ مفهوم الحضارة من المفاهيم البشرية الهامة، لا سيما أن الحضارة كانت ومازالت تمثل أداة فاعلة في ضبط علاقات الأفراد داخل المجتمع، والسير بها في سبيل الوصول إلى مجتمع يعكس رقي تلك الحضارة ويخلد ذكراها، دون إغفال دور الدين والفلسفة في بلورة خصائصها ورسم ملامحها، وإظهار أثرها وتأثيرها في غيرها من الحضارات المزامنة لها أو اللاحقة لها.

إضافةً إلى تخصص هذا البحث في دراسة جانب من جوانب الحضارات القديمة، ومحاولة تسليط الضوء عليه للوصول إلى نتائج علمية دقيقة يمكن اعتمادها كحافز على تقديم دراسات وأبحاث أكثر عمقاً وتخصصاً.

أهداف البحث:

1. الوقوف على أهم الحضارات القديمة.
2. تقديم فكرة موجزة عن تلك الحضارات
3. التعرف على خصائص نلك الحضارات، والتي كانت سبباً في عراقتها، وعاملاً مهمَّاً من عوامل خلودها.
4. تسليط الضوء على جانبي الدين والفلسفة في قيام تلك الحضارات، ودورهما في ضبط أنظمتها، وترسيخ أسسها.

مشكلة البحث:

تعد الحضارات القديمة من أهم المكتشفات التي أعطاها الباحثون العناية والاهتمام، فشرعوا في دراستها والبحث فيها، مما أوجد عشرات الموسوعات والكتب المتخصصة بها، حيث أنها تعد:

- من أهم المنجزات البشرية، وأكثرها دقة في إظهار صورة مجتمع ما، فمن خلالها يتجلى دور الإنسان وكيفية تعامله مع الظروف المحيطة به للارتقاء بمجتمعه.
- ولعبت الحضارات دوراً هاماً في تنظيم العلاقات بين أفرادها، والحفاظ على دور كل فرد في مجتمعه للإسهام بنهوضه وتقدمه، فكانت آثره الخالد، وشاهده الحي بعد فنائه.
- إن هذه الأهمية جعلت مفهوم الحضارة ودراسة الحضارات السابقة وجهة من وجهات البحث العلمي؛ لا سيما أن الشواهد الخالدة لتلك الحضارات ما زالت تكتشف يوماً بعد يوم على الرغم من مرور عشرات آلاف السنين على زوالها.
- ولا تعدُّ هذه الدراسة للحضارات القديمة وخصائصها الأولى من نوعها، وإنما تكمن جدَّتها في تسليط الضوء على جانب هامٍ فيها، تقدم من خلاله عرضاً مبسطاً يمكن أن يكون نقطة انطلاق نحو دراسات أعمق وأشمل.

وبالتالي فإن إشكالية البحث تتمحور في هذا الاهتمام الكبير من قِبل الباحثين، والذي تتفرع منه إشكالات، أهمها:

- ما الفائدة التي قدمتها الحضارات القديمة المندثرة منذ عشرات آلاف السنين للحضارات اللاحقة، وخاصة الحضارات الحديثة؟
- وما هو السبب الذي جعل من تلك الحضارات حضارات خالدة؟

[1] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ط1، ص 10.

- ما أهمية الدين والفلسفة في تحديد خصائص الحضارات القديمة؟

حدود البحث:

- الحد الموضوعي: خصائص الحضارات القديمة، وآثر الدين والفلسفة في تلك الحضارات
- الحد البشري: الحضارة (السومرية، المصرية، الهندية، الصينية، اليونانية، الرومانية)
- الحد الزمني: منذ القدم من 3000ق.م إلى 573ق.م
- الحد المكاني: حضارات العالم القديم

منهج البحث:

المنهج التاريخي التحليلي المقارن لمقاربة خصائص الحضارات القديمة، وأثر الدين والفلسفة في تلك الحضارات

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: بعنوان (الدين في الحضارات الشرقية القديمة وأثره على الديانات السرية والفلسفة لدى اليونان) للكتاب للدكتور محمد أيوب الشناوي[2]

حاول فيه الوقوف على معنى الدين وأثره في الفلسفة والمعرفة الإنسانية في الحضارات الشرقية القديمة، وقد استخدم في تأليفه المنهج التاريخي التحليلي المقارن لمقاربة حضارات الشرق القديمة والإحاطة بها. وتقسم الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وتناول الباحث في بحثه في الفصل الأول: (الدين: دلالته اللغوية والمعرفية)، أما الفصل الثاني فتناول (الدين في الحضارة المصرية القديمة)، وأبطل المؤلف من خلاله نظرية الإنسان البدائي، وبقائه دون عقيدة أو دين لعدة عصور، معتمداً على القرآن الكريم في إظهار زيف تلك النظرية التي تزعم أن مصر لم تعرف التوحيد إلا في عهد أخناتون، لا سيما أن مصر كانت مهد دعوة نبي الله إدريس عليه السلام، ومحط رحال إبراهيم عليه السلام، ومركز دعوة يوسف عليه السلام قبل وجود أخناتون بعشرات القرون، وتناول ما يؤكد نظريته من خلال استعراض الآثار التي وثّقت عقيدة التوحيد في مصر، موضحاً ماهية الفلسفة المصرية ودوافعها للنزوع إلى المادية، و في الفصل الثالث تناول(الدين في حضارات بلاد الرافدين القديمة وما حولها)حيث تحدث فيه عن المعتقدات الدينية لدى السومريين والبابليين والآشوريين، ودور الأساطير وفاعليتها في ترسيخ تلك المعتقدات، مبرزاً دور الرسل (نوح وإبراهيم) عليهما السلام في تصحيح تلك المعتقدات الأسطورية من خلال الدعوة إلى عقيدة التوحيد الخالص لله عز وجل، وتناول مظاهر العقائد الدينية عند الفرس والهنود والفينيقيين، وفي الفصل الرابع: تناول أثر الشرق على الديانات السرية والفلسفية لدى اليونان في العصر الهيليني، وأوضح أثر الحضارات الشرقية القديمة على المعتقدات الإغريقية، متناولاً أربع عقائد سرية هي: (الأليوسة، والديونسيوسية، والساموثراكية، والأورفية)،وفي الخاتمة عرض أهم نتائج البحث، وأهم القضايا والإشكالات التي طرحها البحث، مختتماً جزءها الأخير بالتصورات والآفاق المرجوة من هذا البحث.

الدراسة الثانية: بعنوان (سنن قيام الحضارات وسقوطها قديماً وحديثاً مقارنة بآراء ابن خلدون) للمؤلف عبد اللطيف بن محمد بن عبد العزيز الحميدان[3] .

قسم البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

المقدمة: وهي عرض لأهم أفكار ابن خلدون ونظريته في تفسير الحضارات وما يطرأ عليها من تغيرات، وفي الفصل الأول تناول(تاريخ تطور الحضارات وعوامل القيام والسقوط)وتناول فيه سنن قيام سبع حضارات هي: (السومرية والبابلية والإغريقية والصينية والفرعونية والفينيقية وروما القديمة)، وعوامل ازدهارها والشواهد الدالة على قوتها، وسنن سقوطها والعوامل التي ساعدت على انهيارها، أما الفصل الثاني تناول(الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بين القيام والضعف والسقوط)، وفي الفصل الثالث تناول(رؤية ابن خلدون

[2] الشناوي، **الدين في الحضارات الشرقية القديمة وأثره على الديانات السرية والفلسفية لدى اليونان**، ط1.

[3] الحميدان، مرجع سابق.

في سنن قيام الحضارة وسقوطها)، وفي الفصل الرابع تناول (دراسة تطبيقية تحليلية ومقارنة بين الحضارات): وهو امتداد للفصل السابق، لاستنباط دور الأسباب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في قيام الحضارات من جهة، وأثرها في سقوط الحضارات وانهيارها من جهة أخرى، وفي الفصل الخامس تناول(خارطة طريق للقيام الحضاري الإسلامي الجديد) من خلال أربع مجالات، وهي: (العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية)، وفي الخاتمة تناول أهم النتائج السياسية والاجتماعية والاقتصادية لقيام الحضارات وسقوطها، إضافةً إلى مجموعة من المقترحات السياسة والاجتماعية والاقتصادية في ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج.

هيكل البحث:

يتكَوَّن البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، مرتباً على النحو التالي:

المقدمة وتشتمل على: أهمية البحث، أهداف البحث، مشكلة البحث، حدود البحث، منهج البحث، الدراسات السابقة، هيكل البحث، أهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الحضارات القديمة وخصائصها

المطلب الأول: موجز تعريفي بالحضارات القديمة

المطلب الثاني: خصائص الحضارات القديمة

المبحث الثاني: الدين والفلسفة في الحضارات القديمة:

المطلب الأول: الدين وأثره في الحضارات القديمة

المطلب الثاني: الجانب الفلسفي في الحضارات القديمة

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الحضارات القديمة وخصائصها

المطلب الأول: موجز تعريفي بالحضارات القديمة

ارتبط مفهوم الحضارة بالتطور البشري عبر مراحل الحياة، إذ عاش الإنسان مراحل متلاحقة من الحياة اكتسب من خلالها الخبرة في تطوير ذاته للتأقلم مع الظروف المحيطة به من خلال التدابير الوقائية التي حمته ومجتمعه عبر انتقاله التدرجي من مرحلة إلى أخرى أكثر تطوراً، فبدأ حياته بصورة بدائية في الجبال والكهوف إلى أن وصل إلى الحضارات الحديثة وما فيها من تطور عمراني واقتصادي وسياسي. [4] فالإنسان في بداية حياته لم يكن يعرف الحضارة إلى أن اهتدى إلى تكوين الأسرة، وبدأت الجماعات البدائية التي عاشت عصوراً اكتشفت من خلالها أسباب البقاء والاستقرار، فانتقلت من جمع الطعام إلى تأمينه بشكل دائم من خلال الزراعة وتدجين الحيوانات واستخدام النار، وصنع الأواني الفخارية، وبذلك بدأت أولى التنظيمات الاجتماعية البدائية، وقد ظل بعضها على هذا الحال، وبعضها الآخر تطور مع مرور الزمن وبنى أعرق الحضارات وأقدمها على وجه الأرض. [5] وقبل التعريف بالحضارات القديمة، لا بدَّ من الوقوف على مفهوم الحضارة لغةً واصطلاحاً.

أولاً: الحضارة لغة: [هي التمدن والتطور والإقامة في الحضر]. [6] وفي لسان العرب [الحضور نقيض المغيب والغيبة، والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي، الحاضر المقيم في المدن والقرى. والبادي المقيم بالبادية، والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار.] [7]

---

[4] الحميدان، مرجع سابق، ص 10.

[5] مؤنس، **الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها وتطورها**، ص 37 _ 38.

[6] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ص 373.

[7] ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص148.

ثانياً: الحضارة اصطلاحاً: يعد مفهوم الحضارة من المفاهيم الفضفاضة نتيجة تعدُّد الخلفيات الفكرية والثقافية والمذهبية لدارسيه، إذ ذهب كلٌّ باحثٍ إلى تحديده وتعريفه وفق منظوره المعرفي والثقافي، ويمكن القول: إن التعريف الذي ذهب إليه حسين مؤنس من أعم وأشمل التعريفات لمفهوم الحضارة، حيث جمع فيه التعريفات المتناثرة في الكتب والدراسات، يقول: [إن الحضارة _ في مفهومنا العام _ هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية]. [8]

لقد قسم المؤرخون تاريخ تطور الإنسان وفقاً لأحداث هامة اتخذوها كفاصل بين عصر وآخر، وحضارة وأخرى، فأطلقوا مصطلح (التاريخ القديم) على العهود التأريخية الطويلة منذ أقدم الأزمان إلى ظهور الإسلام، أي قبل مئات السنين، قاصدين بعصور ما قبل التاريخ تلك العصور التي سبقت اهتداء الإنسان إلى الكتابة كأداة للتدوين، في حين بدأت العصور التاريخية مع نشوء الحضارة والعمران في مراكز الحضارات القديمة.

والواقع أن نهاية عصور ما قبل التاريخ وبداية العصور التاريخية لم يكن واحداً في كل الحضارات، ففي وادي الرافدين والنيل ظهرت أقدم الحضارات البشرية، في حين تأخرت بعض الحضارات في الظهور كالحضارة اليونانية، وبعض الحضارات في أوربا وإفريقيا. [9]

إنَّ الحضارة السومرية أقدم الحضارات في العالم، إذ بدأت سنة (3500) ق.م، وسميت بحضارة ما بين النهرين، وهي المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، ممتدةً شمالاً إلى جبال طوروس، وشرقاً إلى جبال زغروس، وغرباً إلى البحر المتوسط. وقد اكتشفها الباحثون من خلال الكتابات السومرية التي دونها السومريون الذين استوطنوا وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ، وسميت مدينة سومر لتكون شاهداً حياً على الإنجاز البشري الذي أقامه الشعب السومري المشترك في اللغة والديانة والحضارة.

ويرجح أن السومريين بقايا قوم نوح عليه السلام، وقد جاؤوا إلى شمال العراق بعد الطوفان، ثم نزحوا إلى الجنوب تحت ضغط الجماعات والأقوام المجاورة. [10]

أما الحضارة المصرية فهي الحضارة التي قامت في مصر على مجرى وادي النيل المحاط بالجبال من الشرق والغرب، والمطل على البحر المتوسط من الشمال، والذي يفصله عن الجنوب مجرى نهر النيل.([11]) وتعود نشأتها إلى أواسط الألف الرابعة قبل الميلاد، أي نحو 3500 سنة ق.م،[12] وتوصف هذه الحضارة بحضارة الموتى أو الموت؛ لأن معظم الآثار التي عثر عليها وكانت عوناً للباحثين في دراستها وجدت في القبور الملكية أو قبور العامة. ويعد سكان هذه الحضارة مزيجاً منه ما يعود إلى الحاميين القريبين من الأقوام السامية، ومنه يرجع إلى الأقوام الجنوبية كالأحباش والزنج والنبط، والغالب عليهم عرق البحر المتوسط، وتختلف اللغة المصرية القديمة عن اللغتين السامية والحامية اللتين تطورتا ونمتا مع مرور الزمن. [13]

وفي هذا العصر – قبل ظهور عصر السلالات – تمكن المصريون من اختراع الكتابة المصرية، وقاموا بتنظيم زراعتهم بعد تحديدهم لموعد الفيضان السنوي، كما ظهرت فكرة السلطة والرئاسة المليكة، إذ اندمجت الممالك الصغيرة مع بعضها في مملكتين شمالية (الدلتا)، وجنوبية (الصعيد). [14]

---

[8] مؤنس، مرجع سابق، ص 13.

[9] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج1، ص 183 _185.

[10] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص 13 _15

[11] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ص19.

[12] إيمار، **تاريخ الحضارات العام**، ص39.

[13] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ص 20_22.

[14] أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ص 119.

وإذا ما انتقلنا إلى الحضارة الهندية فإننا نجد هذه الحضارة من الحضارات الأصلية كالحضارة السومرية والمصرية، ويرجح زمن نشوئها إلى بداية الألف الثالث ق.م، أي ما يقارب زمن نشوء الحضارتين السابقتين، وقد تمركزت في وادي نهر السند وسهل روافده قبل هجرة الأقوام الآرية إليها.[15] فتاريخ هذه الحضارة كان 1800 ق.م كان مجهولاً إلا أن الحفريات لعبت دوراً هاماً في اكتشاف عراقة هذه الحضارة.[16]

وعلى الرغم من قلة المعلومات عن هذه الحضارة بسبب عدم حل رموز كتابتها– ويرجع العلماء السبب في ذلك إلى عدم وجود نماذج كافية من تلك الكتابة بسبب كتابة أهل تلك الحضارة على مواد قابلة للتلف كالجلود والخشب– فإن المكتشفات الأثرية توضح مدى صلتها بالحضارات الأخرى، لا سيما الحضارة السومرية، إذ وجدت بعض الختوم الأسطورية السومرية فيها، ووجد في العراق بعض الختوم الخاصة بالحضارة السندية.[17] كما تم العثور على أدوات كثيرة تثبت عراقة تلك الحضارة وأصالتها من أوان فخارية وأختام وكتابات.[18]

ومع الانتقال إلى الحضارة الصينية نجد أن مهدها كان على ضفاف نهري (الأصفر– اليانجستي) وما بينهما من سهول وهضاب، وما يحيطهما من جبال جعلت الصين أقاليم لا يمكن الجمع بينها مع تمتعها بموقع هام على المحيط الهادي.

وتعود نشأة هذه الحضارة كما تشير المكتشفات الأثرية إلى العصور الحجرية، أي إلى حوالي (400000) ق.م زمن إنسان نياندرثال وهو الإنسان البدائي أحد أنواع جنس هومو الذي استوطن أوروبا وأجزاء من غرب آسيا وآسيا الوسطى، واختفت آثار هذه الحضارة بعد حدوث فجوة لم يتوصل العلماء إلى أسبابها بعد. ومع سنة (2500) ق.م تظهر على تلك الأراضي الخالية أعداد كبيرة من السكان وآلاف القرى التي يقطنها أناس يرعون الحيوانات ويعملون بالزراعة ويجيدون التجارة وصناعة المنسوجات والخزف.[19]

وتعد حضارة (يانجشاو) أول حضارة صينية تكتشفها الحفائر، وحضارة قديمة كانت موجودة فيما هو الآن وسط الصين (مقاطعات خنان وشانشي وشانكسي بشكل أساسي) بين عامي 5000 و3000 قبل الميلاد، وقد اكتشفت لأول مرة في عام 1921 – تم أخذ اسم "يانغشاو" من اسم القرية التي تم اكتشافها فيها لأول مرة، وقد بلغت أوجها سنة (3000) ق.م وامتدت إلى الوادي الأوسط (هوانج هي)[20]، وهو مسقط رأس الحضارة الصينية القديمة، ولهذا السبب يُطلق عليه غالبًا "النهر الأم"، ويحيط الوادي بالنهر الرئيسي لشمال الصين ويقع في مركز آلاف السنين من التاريخ الصيني. يبلغ طول نهر هوانغ هي أكثر من 5400 كيلومتر (3300 ميل)، وهو ثاني أطول نهر في الصين. يطلق عليه النهر الأصفر لأن مياهه تحمل الطمي الذي يعطي النهر لونه الأصفر والبني، وعندما يفيض النهر يترك خلفه بقايا صفراء [21]، وجاءت بعدها حضارة (لونجشان) وتهيمن على البلاد كافة. [22]

ولا تختلف الحضارة اليونانية عن سابقاتها، إذ تشير الدراسات إلى أن ما يعرف اليوم باسم بلاد اليونان كان يقطنها الإغريق الهيلينيين قبل مجيء اليونانيين، ففي منتصف الألف الثالث (2500) ق.م بدأت أربع مجموعات قبلية مهاجرة تتكلم اليونانية في الظهور بشكل متتالٍ هم الإخائيون والإيوليون والإيونيون والدوريين، واستقروا في شبه الجزيرة اليونانية، وجزيرة كريت وبقية جزر بحر إيجة. وعلى الرغم من الاختلاف في عادات ولهجات هذه القبائل إلا أنها تعود إلى أصل واحد، وقد أطلق اليونانيون اسم الهيلينيين على كل من يتكلم اللغة اليونانية، واسم البرابرة على غيرهم.

---

[15] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ص 20_22.

[16] الندوي، **الهند القديمة حضاراتها ودياناتها**، ص21.

[17] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ص 375_ 376.

[18] الندوي، **الهند القديمة حضاراتها ودياناتها**، ص31.

[19] نيدهام، **موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين**، ص 42 _ 53.

[20]Gabrielli. Huang He Valley. National Geographic Society.

[21]Custer. Yangshao Civilization in Chinese Culture.

[22] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص 63.

أما الموطن الأصلي لليونان قبل نزوحهم واستقرارهم في هذه المنطقة فهو محل جدل بين العلماء، ولكن الفرضية السائدة تشير إلى أنهم من الأقوام (الهندو– أوربية) التي تسربت من حوض الدانوب باتجاه شبه جزيرة اليونان وآسيا الصغرى. [23]

وقد كان لهذه الحضارة دورٌ كبير في اتصال قارة آسيا بأوروبا، ولم تكتف بدور الوسيط ونقل التراث الحضاري بينهما، بل استفادت منه وأعادت صناعته بعبقريتها وفق ما يتناسب مع بيئتها.[24] وهذا ما يبدو جلياً في تأثرهم بفني النحت والعمارة المصريين، وكذلك الديانات كما في قصة موت الإله الإغريقي (ديونيسيوس) التي تعود إلى قصة إله الخصب تموز (الإله البابلي) وأوزوريس (الإله المصري) اللذين تتجدد حياتهما كل عام.[25]

وآخر هذه الحضارات هي الحضارة الرومانية التي نشأت سنة (573) ق.م على ضفة نهر التيبر في روما أقدم عاصمة في الدول الغربية، وتشير الآثار القديمة فيها إلى حضارة عريقة يعود عمرها إلى عشرات مئات السنين.[26]

وقد شكلت جبال الألب والبحر حصناً منيعاً لإيطاليا أمام الأعداء، إذ تمتعت بخصوبة أراضيها، وتثبت البحوث في علم الآثار أن شبه جزيرة (الأبينس) أقدم من جزر البلقان من حيث مأهوليتها بالسكان، ففي عصر البرونز ارتبط شمال إيطاليا بحضارة الأراضي الخصبة، وفي وسط وجنوب إيطاليا بحضارة أكثر رقياً وهي الحضارة الكريتو– ميسينية.

أما قِدم سكان هذه الحضارة فيرجع إلى أواخر الألفية الثانية وأوائل الألفية الأولى قبل الميلاد، وهم الليغوريون[27] وهم مجموعة من الشعوب القديمة التي سكنت الساحل الشمالي الغربي للبحر الأبيض المتوسط من مصب نهر إيبرو في إسبانيا إلى مصب نهر أرنو في إيطاليا في الألفية الأولى قبل الميلاد[28]. وقد تعرضت إلى غزو الشعوب الهندو_ أوربية، وكذلك الأترسكيون القادمين من الشرق في أوائل القرن الثامن قبل الميلاد.[29] واتسمت هذه الشعوب الغازية بهمجيتها قبل أن تكتسب أصول الحضارة من قاطنيها الأصليين.[30] وعليه فإن روما كانت البوتقة التي انصهرت فيها الكثير من الشعوب، وعُدَّت ورثيتهم فارتبطت مصائرهم بمصيرها. [31]

المطلب الثاني: خصائص الحضارات القديمة:

تميزت كل حضارة بخصائص محددة أظهرت عراقتها، وحفظت أفكارها وتصوراتها، وهي مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

خصائص الحضارة السومرية:

1. برزت من خلال تماسك المدن السومرية وتمتعها بوحدتها، مما ضمن لها الاستقلالية وأنظمة الحكم السياسية، فأسهم التطور المتدرج في إنشاء العديد من المدن السومرية في الشمال والجنوب، ويعد لقب (لوكال) ويعني الملك الذي يتولى شؤون المدينة دينياً وعسكرياً من أهم العوامل التي جعلت القائمين على المدن يحاولون الهيمنة على بعضهم والسيطرة على المدن الأخرى في سبيل الحصول على هذا اللقب.
1. كما تمتعت كل مدينة باستقلالها الإداري والسياسي.

---

[23] عكاشة، **اليونان والرومان**، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد، ط1، ص 51_53.

[24] علي، **التاريخ اليوناني _ العصر الهللادي (1)**، ص17.

[25] مكاوي، **تاريخ العالم الإغريقي وحضارته**، ص 16.

[26] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص 101

[27] كوفاليف، **الحضارات القديمة**، ج2، ص454_455

[28]Britannica. Ligurian. Encyclopedia Britannica.

[29] أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص 86.

[30] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ص 660.

[31] إيمار، **تاريخ الحضارات العام**، ص100.

2. وعرفت البلاد نظام الأسر الحاكمة كما في مدينة (كيش) و(أور) و(أوروك).[32]
3. أما الجيش فلم يكن إلزامياً، بل كان أفراده غير متطوعين ومتفرغين له يمارسون العمل في الحرث والزراعة ورعاية الحيوانات.[33]

وقد أدى الصراع بين العبيد والسادة والناس الفقراء ونبلاء الدم إلى تشكل الطبقات، وهي خمس طبقات:

1. طبقة الكهنة التي تشرف على إدارة أملاك المعبد وتنظيم الشؤون الادارية.
2. طبقة الحرفيين الذين يعملون في المعبد والورش الصغيرة.
3. طبقة المأجورين الذين يعملون مقابل أجر ولا يملكون الأراضي.
4. طبقة العبيد وهم من أبرز المسهمين في ازدهار الحضارة السومرية، وكانوا يعملون في خدمة المعبد والنبلاء.
5. طبقة النبلاء الذين امتلكوا الأراضي الواسعة وتوارثوها، واستغلوا العبيد والمأجورين لحراثتها وزراعتها.(34)
6. وفي الجانب الاقتصادي أدت الزراعة دوراً بارزاً في الازدهار الاقتصادي، لا سيما في توفر خصب الأراضي وجهاز الري المنظم الذي أحدث ثورة في زراعة بلاد الرافدين، وقد برع السومريون في استغلال الأحجار الكريمة وشبه الكريمة والمعادن فطورا صناعاتهم وهو ما انعكس إيجاباً على التجارة التي نشأت مع الأقوام المجاورة. [35]

كل هذا التطور في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة واكبه تطور علمي، إذ عرفوا الكواكب، وأطلقوا على الأرض الكوكب السابع، وقد عثر في السومرية على عبارة (أناس السفن الفضائية) مما يرجح قدوم رواد فضاء من كواكب أخرى إلى الأرض، وهذا ما استغله السومريون وطوروه في دراسة علم الفلك.[36]

إضافةً إلى اختراع الكتابة المسمارية على ألواح مصنوعة من الطين، وظلت لغة للتواصل بينها وبين الدول المجاورة حوالي ألفي سنة، وكذلك شواهدهم المعمارية والادارية من استخدام العقود وسن القوانين، وهم أول من عرف الطريقة الستينية التي ما تزال مستخدمة في تقسيم اليوم والساعة والدقيقة، والدائرة إلى (360) درجة[37] ، وهذ كله يدل بوضوح على عراقة هذه الحضارة.

خصائص الحضارة المصرية:

1. تمثلت في تسميتها بحضارة (الموت أو الموتى)، إذ حفظت آثارها في مقابر الملوك والمعابد الخاصة بهم وقبور الشعب.
2. كما تميزت بحجارتها الفاخرة التي مكنتها من إشادة الصروح الهامة كالأهرامات والمعابد والمنحوتات، وعرفت بغناها ببعض المعادن كالنحاس والذهب.[38]
3. انتشرت في المجتمع المصري (العبودية) التي ضمت العبيد الأصليين والعبيد الأسرى، ولم يكن لهما دور متميز في الإنتاج كما في حضارة بلاد الرافدين، بل كانت جميع الطبقات تشترك في الأعمال الزراعية وغيرها.[39]
4. كما عُرفوا بنظام السلالات التي ضمت 31 سلالة، ويقسم تاريخها إلى ثلاثة عصور رئيسة، هي: عصر المملكة القديمة وعصر المملكة الوسطى، وعصر المملكة الحديثة. [40]

---

[32] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص17_18.

[33] كوفاليف، **الحضارات القديمة**، ج1، ص88.

[34] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص21_ 22

[35] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ص376_ 377

[36] أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص 140

[37] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص 22_24

[38] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2 ص 20_21

[39] كوفاليف، **الحضارات القديمة**، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ج1، ص124

[40] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ص24.

5. أما النظام السياسي فكان الملك يدعى (فرعون) وتعني (البيت الكبير)، وله الحكم المطلق، إذ يعين الموظفين ويعزل الحكام، ويرسل الجيوش إلى البلدان المجاورة، ومصادرة أرزاق رعاياه، ويحكم عليهم بالموت دون محاكمة.[41] فالملك هو الوريث الشرعي للإله، والوسيط الوحيد بين الآلهة والبشر. [42]
6. وفيما يتعلق بالعلاقات مع الحضارة السومرية، فقد أثبتت الأبحاث أن الحضارة المصرية استفادت كثيراً من الحضارات السابقة فأثرت فيها، ويعد فن العمارة واستخدام الأختام الأسطوانية الشيئين الثابتين لأثر حضارة بلاد الرافدين في الحضارة المصرية.[43]

خصائص الحضارة الصينية:

1. تجلت الخصائص الحضارية بالجانب السياسي، إذ تعاقبت الأسر الحاكمة على حكم الصين، ودبَّ الصراع بين هذه الأسر، فقامت الأسر على أنقاض بعضها بعضاً.
2. كان لظهور المدارس الفلسفية وعلى رأسها فلسفة (كونفشيوس) وهو أشهر معلم وفيلسوف ومنظر سياسي في الصين، وفلسفته الكونفوشيوسية هي النظرة العالمية للسياسة والتعليم والأخلاق التي درسها كونفوشيوس وأتباعه في القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد، وعلى الرغم من أن الكونفوشيوسية ليست دينًا معروفًا إلا أنها تشتم [44]، وقد أثرت أفكاره بعمق على حضارات الصين، ودول شرق آسيا التي أسهمت في التطور الفلسفي والعلمي والاقتصادي الذي انعكس على استقرار الصين وتوحيدها مجدداً على يد الامبراطور (سي هوانج تي) وأبرز ما توصلت إليه الحضارة الصينية بناء السور العظيم لحمايتها وتحصينها في وجه الأعداء والغزاة.
3. سلطة الحاكم الامبراطور فمستمدة من السماء، وبيده السلطة، يليه وزيره الأول الذي يقترب منه في الصلاحيات الممنوحة، وقد أسهمت الإدارة الناجمة عن الحكم وإقامة علاقات قوية مع الخارج إلى نهضة علمية وعمرانية ظلت آثارها قائمة إلى يومنا هذا.
4. ظهرت الأسر الحاكمة ظهرت الطبقات المتعددة وعلى رأسهم طبقات الفلاحين والمزارعين الذين أسهموا بجهودهم في ازدهار الحضارة الصينية، في حين امتلك النبلاء الأراضي. كما انتشر تعدد الزوجات الذي أسهم في ولادة الأجيال المدافعة عن الدولة في وجه الأعداء.
5. الاقتصاد في الحضارة الصينية بدأ بتأمين الغذاء من خلال الزراعة والرعي، ودور دودة القز في صناعة الحرير وصناعة المحراث، إضافةً إلى إنشاء القنوات المنظمة للري واستخدام الأعشاب والنباتات في الطب، ولعل أهم أسباب نجاح الزراعة هو التقويم الزراعي الذي أوجده الصينيون عن طريق دراسة الأفلاك.
6. تطور صناعة الخزف والجلد والخيزران والخشب وآلات الزراعة والحرب فضلاً عن صناعة الورق والآلات الموسيقية، كما ظهر النقد المعدني وانتظمت التجارة وأسواقها، وأقيمت العلاقات التجارية مع الدول المجاورة. [45]

خصائص الحضارة الهندية:

1. اعتمدت على الزراعة وتربية الحيوانات، واستخدمت نظام الري[46] ، فإلى جانب القمح والشعير كانت الهند أول من زرع القطن.

---

[41] كوفاليف، **الحضارات القديمة**، ج1، ص126.

[42] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص78.

[43] باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ص39.

[44] Chin. Confucius Encyclopedia Britannica.

[45] أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص64_ 68.

[46] الندوي، **الهند القديمة حضاراتها وديانتها**، ص 36.

2. وعرفوا بتطوير صناعاتهم فصنعوا الأدوات المعدنية وكذلك الأسلحة.[47] إلى جانب الصناعات الريفية البدائية كالنسيج والتطريز والدباغة[48] ، كما تعد الأختام والأواني الفخارية الملونة من أهم الدلائل على تقدم الحضارة الهندية.[49]
3. وقد قسم المجتمع إلى أربع طبقات هي الكهنة والنبلاء والرجال الأحرار والعبيد، وهذه الطبقات انبثقت وفق طقوس العبادة، وكل هذه الطبقات يخضعون للملك الذي أشرك الشعب في الحكم.[50]
4. أما التطور العلمي فكان نتيجة للتطور الديني والفلسفي، فدرسوا الأفلاك المحيطة بالأرض وفق معطيات هندسية وحسابية، كما أقروا النظام العشري.[51] واعتمدوا اللغة السنسكريتية فكتبوا قصائدهم الملحمية فيها.[52]
5. وفيما يتعلق بالعلاقات مع الأمم والحضارات الأخرى يبدو ذلك جلياً من خلال التجارة، وما يدل على ذلك الاختام الأسطوانية وأدوات الزينة العراقية التي وجدت في وادي نهر الهند.[53]

خصائص الحضارة اليونانية:

1. مع عودة اليونانيين إلى موطنهم الأصلي في بحر إيجة، إذ بدأوا بالانتفاض على الحضارة الإيجية وأخضعوا مدنها الواحدة تلو الأخرى بعد أن تعلموا منها الكثير.
2. ثم قام الإغريق (اليونانيون) بتقاسم اليونان وبحر إيجة، فاستوطن الإيليون في الشمال، والأيونيون في الوسط، والدوريون في الجنوب.[54]
3. اتَّبع اليونانيون نظام دويلات المدن كما كان سائداً في بلاد الرافدين، ومرَّ تحضرهم بمراحل عدة، وقد شهدت هذه الحضارة تطوراً هاماً تمثل في كثرة المدن والدويلات التي يتبع كل منها إلى جيش وآلهة وقوانين خاصة تختلف عن الأخرى، وكان لهذه التغيرات والتطورات العميقة في بنية المجتمع اليوناني أثر كبير في انقسام هذه الحضارة إلى عهود بدءاً بعهد الملوك مروراً بعهد النبلاء وانتهاءً بعهد الطغاة والأرستقراطيين.[55]

إن هذه العصور شكلت الجانب السياسي في الحضارة اليونانية، ففي عهد الملوك تمتع الملك بسلطان شبه مطلق تشريعياً وتنظيمياً وسياسياً يشاركه في حكمه مجلس الأعيان، وفيه تمَّ تنظيم المدن سياسياً من حيث حقوق المواطنين وواجباتهم. ومع مجيء النبلاء فقدَ الحكم الملكي أهميته وفاعليته، وتحول المَلك إلى الطبقة الأستقراطية، فقامت ركائز هذا العصر على استملاك الأراضي من قبل الأستقراطيين، وهيمنة القوة العسكرية على الخيل وتولي خوض الحروب، إضافةً إلى تنظيم حياة الأفراد من خلال تحديد حقوقهم وواجباتهم والاحتكام إلى القانون.

---

47 كوفاليف، **الحضارات القديمة**، ج1، ص210.

48 إيمار، **تاريخ الحضارات العام**، ص559.

49 الندوي، **الهند القديمة حضاراتها ودياناتها**، ص 34.

50 إيمار، **تاريخ الحضارات العام**، ص561_562.

51 إيمار، **تاريخ الحضارات العام**، ص 573.

52 كوفاليف، **الحضارات القديمة**، ج1، ص221.

53 الندوي، **الهند القديمة حضاراتها ودياناتها**، ص 35.

54 باقر، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج2، ص 578_ 579.

55 مكاوي، **تاريخ العالم الإغريقي وحضارته**، ص 81.

وفي عصر الطغاة ازدهرت التجارة والصناعة مما أسهم في سقوط عهد النبلاء، واستيلاء الطغاة على التجارة والصناعة، وسعيهم إلى امتلاك الأراضي وضمها إلى ممتلكاتهم الخاصة. ويمكن ملاحظة تطور النظام السياسي في الحكم اليوناني من خلال أثينا واسبرطة. [56]

وإذا ما انتقلنا إلى الجانب الاقتصادي فإننا نلحظ دور العبيد في تطور الحضارة اليونانية من خلال الاعتماد عليهم في الزراعة والصناعة، لا سيما في عصر الملوك والنبلاء، وبعد استيلاء الطغاة على البلاد وضم أراضيها إلى ممتلكاتهم اتجهوا إلى البحر فتعرفوا من خلال احتكاكهم بالحضارات الأخرى على الأسواق التجارية العالمية، وهو ما مهد لظهور طبقة التجار الذين تحالفوا مع الأرستقراطيين لحماية ممتلكاتهم ومصالحهم. [57]

إن العلاقات المتبادلة بين الحضارة اليونانية والحضارات الأخرى جعلت المدن اليونانية أسواقاً ومراكز اقتصادية هامة أسهمت في تطور الحضارة اليونانية، فازدهرت الصناعات وصكت النقود المعدنية، إضافةً إلى التطور العمراني بصروحه العظيمة.[58]

أما الجانب الاجتماعي فتميز المجتمع الأثيني برقي الرجل وقدرته على العيش بكرامة دون تمييز بينه وبين صاحب العمل، وقد أسهم صك النقود والتعامل فيها إلى تطور المجتمع وازدهار التجارة فيه، كما أن الإجراءات التي قام بها الحاكم (بيزاستراترس) من مصادرة الأراضي وتوزيعها على الفقراء، وتقديم القروض الزراعية للفلاحين انعكسن بشكل إيجابي على الاستقرار الاجتماعي في أثينا، وأبرزُ طبقات المجتمع الأثيني هي طبقة المواطنين والغرباء والمعاتيق وعبيد أنكا. ويمكننا التمييز بين المجتمع الأثيني والمجتمع الأسبرطي من خلال اعتماد القانون في المجتمع الأول، واعتماد المجتمع الثاني على القوة العسكرية واستعداده الدائم للحرب. [59]

وتتمثل شواهد الحضارة اليونانية في اعتماد فن النحت والتصوير في رسم آثار الحضارة على نحو يشهد بعظمتها وفخامتها، واستخدام الكتابة في تدوين الأحداث بشكل دقيق حافظ على تطورها الفكري والإبداعي، لا سيما في مجالي العلم والفلسفة، إضافةً إلى تنظيم حياة الشعب وتحديد حقوقه وواجباته من خلال الدساتير.[60]

خصائص الحضارة الرومانية:

1. فقد أقامت الإمبراطورية تجارة قويةً.
2. أنشأت شبكة من الطرق، فاعتمدوا على الزراعة وتربية المواشي في تأمين احتياجاتهم الغذائية.
3. فتح طرق التجارة مع الخارج، واهتموا بالصناعة واستخراج الثروات المعدنية من المناجم وصناعتها
4. الاعتماد على العبيد والأسرى في عمل المناجم.
5. أنشأت شبكة من الطرق البرية والبحرية لنقل البضائع داخل القطر وخارج الإمبراطورية.
6. لقد كان للتوسع والفتوحات دور كبيرٌ في تطور الحضارة الرومانية في ظل وجود الحماس العسكري لدى الشعب الذي ترسخ في فكره عقيدة التوسع.

أما المجتمع الروماني فانقسم إلى أربع طبقات هي: (طبقات النبلاء والفرسان والعامة والعبيد) وكغيرها من الحضارات فالنبلاء سيطروا على الأراضي وعامة الشعب أُستغلوا في نهوض الاقتصاد الروماني.[61]

المبحث الثاني: الدين والفلسفة في الحضارات القديمة

---

[56] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص 42_44.

[57] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص 46_ 47.

[58] كوفاليف، **الحضارات القديمة**، ج1، ص290.

[59] الحميدان، **سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون**، ص 49_52.

[60] الحميدان، **المرجع السابق**، ص54.

[61] أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص 88، 107، 110.

وجدت العلاقة بين الدين والفلسفة منذ القدم جنباً إلى جنب، وكانت تلك العلاقة تتمثل في شكلين، إما شكل تنافر وصدام، أو في شكل تفاعل وانسجام، وكان الاهتمام بينهما بشكل عكسي من الفلسفة بالدين والعكس صحيح، حيث تجلت هذه العلاقة في رؤى الفلاسفة حول قضايا الألوهية والخلق والمصير، وغيرها مما يتعلق بالدين، حيث وجدت في الفترات القديمة تصورات فلسفية مختلفة حول الدين، طرحت في إطار الأنترومورفيا، والأساطير في شكل القصص الخيالية التي تحمل أبعاداً أنطولوجية وقيمية ومعرفية، وهي ذاتها ما تواصلت في الفترة الحديثة و المعاصرة لكن في شكل جديد، نتج عنه أنسنة الدين وعلمنته وإنزاله من التعالي إلى المحايثة، فكان تأثر تصور الدين بمعطيات فلسفية، والشيء نفسه بالنسبة للفلسفة.

المطلب الأول: الدين وأثره في الحضارات القديمة:

يعد مفهوم الدين من أبرز عناوين ال.حضارة في أي مجتمع من المجتمعات، ومن خلاله تتم دراسة حضارة ما، إذ لا يمكن فهم تلك الحضارة إلا عن طريق مقاربة الدين بطقوسه وعاداته العقائدية السائدة أيا كان نوعه.

وتنبثق أهمية الدين كونه من أوثق الروابط الاجتماعية والعقائدية بين الناس، فهو الذي يؤلف قلوبهم وينظم سلوكهم ويلبي حاجاتهم الروحية والحياتية. وقد سعى الإنسان منذ وجوده على هذا الكوكب للاهتداء إلى القدرات التي تتحكم بمصيره وبالظروف الطبيعية المحيطة به، فنشأت الأديان والعقائد التي اعتبرها طريقاً يوصله إلى القوى الخارقة التي تتحكم في هذا الكون على أمل الحصول على حياةٍ أكثر طمأنينةً ورقياً.

وقد أدى الدين دوراً هاماً في وصول النفس البشرية إلى فهم أسرار الطبيعة، والارتقاء بالإنسان إلى الفضيلة والقيم من خلال مجموعة من الطقوس والعبادات والنظم والمؤسسات التي وثقت علاقته مع باقي أفراد مجتمعه وضبطت شؤونه الحياتية ووجهت نشاطه؛ [62] فالإنسان بحاجة إلى العقيدة؛ والروح تجوع كما يجوع الجسد؛ ولهذا يسعى الإنسان إلى إشباع غريزته من الإيمان فإذا ضعف الإيمان اعتبر شاذاً يناقض طبيعته التكوينية، وأشار إلى خلل في الكيان.[63]

الدين في الحضارة السومرية:

عبد السومريون ومن تبعهم في بلاد الرافدين قوى الطبيعة، وتعددت آلهتهم، وأهمها (انليل) رب الأرض وقرينته (ننليل) عشتار خالقة كل شيء، وكان إلههم الأعظم (شمس) الذي سُنت الشرائع باسمه، وقد آمن السومريون بالحياة بعد الموت لذا دفنوا الطعام والأدوات في قبور موتاهم. وقد بُني نظام الحكم على أساس ديني، فلقِّب الملوك بنواب الإله في الأرض، ولهم مطلق التصرف كالإله. [64]

وتعد فكرة حتمية الموت على الإنسان في بلاد الرافدين وعدم النجاة منه والخوف من ملاقاته من الأشياء التي دفعته إلى إيجاد قيماً تخفف من خطورة هذه الكارثة، وتجعل الموت فكرة غير مطلقة؛ مما دفعه للانهماك في الحياة وبناء حضارته التي ستبقى شاهداً عليه بعد فنائه، وهو ما يسمى بفكرة الخلود الممكن، والمتمثلة في بقاء الذكر الحسن للإنسان بعد موته. وهو ما انعكس إيجاباً على حياة الإنسان الذي اطمأن لفكرة مواجهة الموت، وذهب يخوض غمار الحياة مقدماً ما يستطيع تقديمه في بناء المنجزات العظيمة لتخليد ذكره بعد الموت وضمان السيرة الحسنة له بعد الموت.[65]

الدين في الحضارة المصرية:

لقد عبد المصريون قوى الطبيعة وصوروا هذه الآلهة بصورة إنسانية أو حيوانية، كما آمنوا بالحياة بعد الموت وبالحساب، فالموت ليس إلا تبديل لطريقة حياة الإنسان، والميت يعيش في قبره؛ لذا عملوا على تحنيط الجثث. وتعود العقيدة المصرية إلى إله الشمس

---

[62] قسطنطين، **في معركة الحضارة**، ص 94_96.

[63] الشناوي، **الدين في الحضارات الشرقية القديمة وأثره على الديانات السرية والفلسفية لدى اليونان**، ص42.

[64] أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص 137_139.

[65] حنون، **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة**، ص97_98.

(رع) خالق العالم.[66] وتبقى عبادة الموتى من أهم وأثبت العبادات على مر العصور، وهو ما يبدو جلياً في اهتمامهم في تشييد القبور وتحنيط الجثث.[67]

ومع مجيء (أمنحوتب) الذي بدل اسمه إلى اخناتون بدأت تتجه الآلهة إلى إله واحد هو (الشمس) (آتون)، فهو الإله الحق، ورب المحبة والسلام، وعلى الرغم من الاتجاه إلى فكرة الإله الواحد، فإنها لم تصل إلى فكرة التوحيد المطلقة التي حملتها الرسالات السماوية. وقد شكلت محاربة اخناتون لباقي الآلهة غضباً عارماً من قبل أصحاب المهن والحرف القائمة على حفر ونحت الهياكل. [68]

لقد انعكس جوهر عقيدة الثواب والعقاب بعد الموت على نشاطهم في مجالات الحياة كافة، إذ عمل الإنسان المصري القديم على فعل الخير وطهارة الذمة، فلا إحسان ولا رحمة للميت في قبره ما لم يكن محسناً إلى الآخرين في حياته، فأثر أعماله يبقى خالداً بين الناس ويضمن له السعادة في آخرته. [69]

الدين في الحضارة الهندية:

إن الديانة الهندية مزيج من الديانات والشعائر الهندية الأصلية والقبائل الآرية؛ ولهذا اشتملت على تعدد الآلهة، لا سيما آلهة الطبيعة كإله المطر والنار والنور، ومن أهم معاني الإله عندهم معنى (المعطي) أوديفا.

وتعد البرهمية القديمة من أهم عقائدهم وتقوم على تقديس الملك، وهذا الحق التقديسي مستمد من قدرته على الخلق ومنح الحياة، وليس من جلوسه على الكرسي، وهي عقيدة تشبه إحدى العقائد المصرية في قصة الخليقة.

إن إيمانهم بوجود تناسخ الأرواح دفعهم إلى تقديس الحيوان وعبادته باعتباره الجد الحقيقي أو الرمزي للقبيلة، وقد خلصوا إلى الإيمان بالإله الواحد كغيرهم من الشعوب. وذهب بعضهم إلى أن الخلاص على يد الله وذلك من خلال تشبث الإنسان به واستسلامه لقضائه، وذهب الفريق الآخر إلى أن الحقيقة الأبدية الروح كالآلهة أزلية سرمدية، مستمرة، غير مخلوقة، وأما هذا الفناء الخالد يتضاءل الإنسان الفاني الذي يعتبر رقماً لا قيمة له في هذه الحسبة الأبدية.

وعندما قامت البوذية بدأت بتبسيط العقائد لتقترب من فهم الناس، فكانت فلسفة حياة وآداب سلوك، وخلاصة هذه العقيدة تتجلى في أربعة مبادئ، هي:

1. هناك عذاب وشقاء
2. هناك سبب للعذاب والشقاء
3. هذا السبب قابل للزوال
4. إن وسيلة الانتهاء إلى هذه الغاية موجودة لمن يختار.

ولذلك لا بد من التوسط بين إرضاء الحس وقمعه وتجريده في أمور الحياة الثمانية: (الفهم والعزم والكلام والسلوك والمعيشة والعمل والتأمل والفرح) بجوانبها الإيجابية التي يعني التمسك بها رباط النجاة من الدولاب الدائر بالولادة والموت والتجدد، والدخول في (النيرفانا) في التقليد الهندوسي النيرفانا (تسمى أكثر شيوعًا موكشا) هي لم الشمل مع براهمان، الإله العالمي أو الروح العالمية. في الهندوسية التقليدية، تصل الروح إلى هذه الحالة بعد أن عاشت العديد من الأرواح التي تتسلق فيها عبر فارنا، أو نظام الطبقات[70].

---

[66] أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص 121.

[67] العقاد، **الله _ كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص62.

[68] أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص 126.

[69] بسيوني، **آداب السلوك عند المصريين القدماء**، ص63.

[70] Harris. How Nirvana Works?

التي لا يولد بعدها ولا يموت، وهذا المصير حكم الأرباب والملائكة وحكم السماوات والأرضين، فكلها خاضعة لقانون القضاء والقدر الذي لا خلاص منه.[71]

فالإنسان لا بد له من اتباع بعض الخطوات للقضاء على الشهوة والتغلب عليها كعمل الخير واجتناب الشر، والقول الطيب والعمل الصالح وبذل الجهد الصادق في أمور حياته وكسب عيشه. [72]

وعلى الرغم من إيمان هذه العقيدة بتناسخ الأرواح إلا أنها تنكر الشخصية الإنسانية، فوصلت إلى ميدان الوجدانيات والفضائل الخلقية، ولكنها لم تصل إلى الكمال.[73]

أما جوهر الديانة الآرية فيتمثل في كتاب (الفيدا) الذي حمل في طياته الأفكار والتعاليم النبيلة المرتبطة بالنقاء والاستقامة.[74]

الدين في الحضارة الصينية:

قامت الديانة الصينية على عبادة قوى الطبيعة كالشمس والقمر والكواكب وغيرها، وأكبرها السماء ويتقربون إليها بالذبائح. ولم تعرف الحضارة الصينية ديانة خاصة بها، بل كانت دياناتهم مستمدة من ديانات الحضارات الأخرى كالبوذية والمجوسية وغيرها، ولكن ما تميزت به عبادة الأسلاف والأبطال التي ارتبط بها مفهومي الخير والشر، فما يرضي الأسلاف خير وما يسخطهم شر، وكانوا يتقربون إليهم بالأطعمة والأشربة وكل ما يحتاجه عالم الأجساد. ويعد (كنفشيوس) أشهر معلميهم، وقد دعا هؤلاء المعلمين إلى الحلم والصبر وبر الوالدين والعطف على الأقارب والغرباء.[75]

وأهم ما قام به (كونفشيوس) تحويل أنظار الصينين عن خوارق الطبيعة إلى التفكير بالإنسان، إذ وجد أن الناس سواسية يكسو الخير طبيعتهم البشرية المستقيمة التي تفقد سعادتها بافتقاد استقامتها، فالطبيعة الإنسانية محور فكره، إذ يكمن في داخلها المبدأ الأخلاقي الذي يجب أن يحكم علاقة الفرد بالآخرين ويضبط سلوكه.

ومن مبادئه أيضاً التوسط في التصرفات الإنسانية وفق القانون الأخلاقي، إضافةً إلى تقديس الأمانة والرضا بالموت على الحياة بذلٍ ومسكنة، والابتعاد عن الترف والجشع، دون إغفال الجانب الإنساني والشعور بالآخرين.[76]

وأساس الشعائر الدينية الصينية تتمثل في السلوك والتهذيب والتثقيف بعيداً عن العنف والغضب والمغالاة في التعصب، فالرضا والقناعة أساس العيش الطيب، وقد عُرف الصينيون بترويضهم لعناصر الطبيعة من خلال الإيمان بالدين والطلاسم والأرصاد.[77]

الدين في الحضارة اليونانية:

تجسدت الديانة اليونانية في ثلاث صور هي: الديانة الأرضية القائمة على عبادة أنواع الطبيعة، والديانة الأوليمبية والديانات السرية. فمعبودات القوى الأرضية هي المعبودات الحقيقية الأولى لبلاد اليونان، وأعظم آلهتها (زيوس) الأرضي. ولم تقف الديانة الأرضية على عبادة قوى الطبيعة وتعظيم الموتى تعظيماً فاق غيرها من الآلهة، بل عبدت الإنسان وقدست أعضاءه التناسلية كرمز للإخصاب.[78]

---

71 العقاد، **الله _ كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص 71_ 75.

72 عجيبة، **دراسات في الأديان الوثنية القديمة**، ص137.

73 العقاد، **الله _ كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص 76_ 80.

74 أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، ص 50.

75 العقاد، **الله _ كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص 81_ 83.

76 النشار، **الفلسفة الشرقية القديمة**، ص 148_ 150.

77 العقاد، **الله _ كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص 84.

78 عجيبة، **دراسات في الأديان الوثنية القديمة**، ص149_ 150.

لقد عرفت الحضارة اليونانية الكثير من الديانات، فآمنوا بتناسخ الأرواح، وعرفوا أدوار التطهير والتكفير، ومزجوا بها عبادة (ريونيس) إله الخمر كرمز للنشوة الإلهية المتمثلة في نشوة الحياة والشباب الخالد المتجدد.[79]

وبعد الديانة الثانية (الأوليمبية) التي قدست الآلهة الموجودة في الجبال، وتعددت أسماؤها ظهرت الديانات السرية التي كانت تقوم في طقوس سرية تتعلق بموت الإله وبعثه، وهدف القائمين عليها والمطلعين الخلاص والتطلع إلى الحياة الأبدية.

إن فحوى هذه الديانات أن الإنسان هو عنصر إلهي جاء من السماء، وقد سجن في جسده المادي ليتألم ويتعذب، ولا بد له إذا ما أراد العودة والصعود إلى المصدر الذي جاء منه اجتياز الاختبار المتمثل في الموت والقيامة، ولا يكون ذلك إلا بالتطهير من الخطايا والاجتماع مع الإله على مائدة مقدسة واحدة هي مائدة الإله. وقد انتشرت هذه الديانة بسبب رغبة العبيد والنساء في إيجاد مكان لهم في هذه الديانة بعد ان حرموا من الديانة (الأوليمبية) فالحاجة إلى بناء علاقات اجتماعية لهؤلاء دفعتهم إلى اعتناق هذه الديانة وتعويض حرمانهم في ظل رغبتهم بوجود رابط يقربهم من الإله ويضمن لهم الأمان والنجاة، لا سيما أن جوهر هذه الديانة يقوم على فكرة الموت والذهاب بعده إلى الجحيم يحاسبون فيها من قبل آلهة العالم السفلي، ولهذا فالتطهر سبب جوهري في حياة الروح حياة سعيدة أو شقية. [80]

الدين في الحضارة الرومانية:

وقامت على ثلاثية الألوهية (جوبتير) و(جونون) و(منيرف) وتنتظم عبادة هذه الآلهة وغيرها مع الإيمان بما لا يحصى من الأرواح الطيبة والشريرة؛ ومن أجل كسب عون الآلهة وتجنب فجور الشريرين من الأبالسة سعى الكهنة إلى السحر والشعوذة والتضحية بالبشر. وكذلك ان الشعب لا يمكن أن يحصل على رضى تلك الآلهة وتجنب شر الأبالسة إلا بأرستقراطيته العسكرية والكهنوتية. [81]

وقسمت الديانة الرومانية إلى قسمين: ديانة قبل اختلاطهم بالأمم المجاورة، وهي الديانة الرومانية الأصلية، وديانة ما بعد اختلاطهم بالأمم الأخرى.

لقد اعتقد الروماني القديم أن العالم كله خاضع لقوى خفية غير مرئية (الأرواح النشطة) يتجلى نشاطها في قوى الطبيعة كالرياح والليل والنهار والحيوان، فهي التي تتحكم في حياة الإنسان وتسيطر عليه فتكون خيرة له أو ضارة، وهو ما يبدو في الحوادث غير الطبيعية وغير المألوفة كالصواعق والهزات الأرضية والأمطار وما تسببه من خراب.

كما عبد الرومانيون أرواح الموتى، وعملوا على إرضائها خوفاً من شرورها، إذ يعتقدون أن الروح تبقى بعد الموت وبإمكانها الإحسان والإساءة. فإرضاء الآلهة والعمل بمشورتها دفع الدولة إلى اعتبار الديانة الرومانية الرسمية فرعاً من فروع الإدارة، ومهمتها تنظيم العلاقات بين المواطنين والآلهة الراعية.

أما الديانة فهي مشتقة من الأمم الأخرى لا سيما اليونانية التي عرفت اهتماماً بالغاً من قِبل الرومان الذين حرصوا على أخذ الديانة وعبادة آلهة الأمم اللواتي احتكوا بهن مع الإضافة عليها واصباغها بطابعهم. وقد ساعدهم في ذلك مبدأ التسامح مع الأديان الأخرى الذي نصت عليه الحكومة الرومانية. [82]

هكذا تجلى دور الدين في تطور الحضارات، لا سيما الحضارات القديمة التي كان الدين أساس نظامها الفكري والعقائدي.

المطلب الثاني: الجانب الفلسفي في الحضارات القديمة:

---

[79] العقاد، **الله _ كتاب في نشأة العقيدة الإلهية**، ص 109.

[80] عجيبة، **دراسات في الأديان الوثنية القديمة**، ص159_169.

[81] كوفاليف، **الحضارات القديمة**، ج2، 464_465.

[82] عجيبة، **دراسات في الأديان الوثنية القديمة**، ص178 _184.

ركَّز الفكر الفلسفي في الحضارات القديمة على الإجابة عن الأسئلة الغامضة التي تدور في ذهن الإنسان القديم؛ ولهذا نجده خليطاً من التراث القديم والعلاقات بين الحضارات الأخرى، إضافةً إلى الإبداع الذي يتحلى به أفراد كل حضارة.[83]

أولاً: دور الفلسفة في الحضارة المصرية

لقد امتزجت الفلسفة في الحضارة المصرية القديمة بالدين وغيره من المضامين الفكرية كالأدب والحِكَم، فالفلسفة موجودة في كل مكان وزمان، فترى في الحِكم والأمثال والأقوال وفي السياسة والأساطير.

والفلسفة المصرية فلسفة سرية لا شعبية، وبالتالي لا تظهر إلا بطريق غير مباشر من خلال المقربين من الكهان الأصليين أو عن طريق المهتمين الذين ينشروها بعد ان تصبح تقليداً أو رأياً شائعاً.

أما جوهر هذه الفلسفة فتمثلت في فكرة الخلق التي أرجعوها إلى الله الواحد الأحد صاحب القدرة العاملة والمدبرة لكل شيء في هذا الوجود، وهو من أوجد نفسه، وخلق هذا الكون بكل ما فيه عن قصدٍ ورغبةٍ منه. وقد ارتقى الفلاسفة المصريون بفكرة الخلق والخالق عن التجسيد والمادية، واتجهوا إلى التجريد والمثالية، فقضية الخلق مرتبطة بالقلب واللسان، أو الإرادة والكلام. ولم يغفلوا أهمية العناية الإلهية بخلقه فـ (آتون) متمثل في كل الوجود، وربٌّ لكل المخلوقات رحيمٌ بها، ينشر محبته دون التفريق بين احد من مخلوقاته.

أما فيما ما يتعلق بالإنسان وماهيته، فرأى هؤلاء الفلاسفة أنه مؤلف من جسمٍ وروحٍ وقرينٍ حافظ لهما، والعلاقة بين الجسم والروح لا تنتهي بالموت. وكذلك فكرة الثواب والعقاب للنفس بإرجاعها إلى الأرض من خلال التقمص في الحيوانات لتكفر عن ذنوبها، فالتناسخ من أهم الركائز الفلسفية المصرية.[84]

ثانياً: دور الفلسفة في الحضارة السومرية

وتعد ملحمة جلجامش في الحضارة السومرية الآكدية من أقدم الكنوز الأدبية في تاريخ البشرية، وقد انبثقت أهميتها من مجموعة القيم الإنسانية السامية والمعاني العميقة التي ارتقت بها لتكون شاهداً على الإنسانية القديمة.[85]

فالملحمة تحمل في طياتها حكمة ومعرفة كاتبها الذي يعكس صورة مجتمعه وأفكاره، ففيها حكمة الوجود والحياة والموت والفناء. فالإنسان يقوم بعبادة الآلهة والعمل على خدمتها، لكنه لا يثق بها؛ لأنه يدرك حتمية الموت، ويجهل المصير بعده؛ ولهذا اعتراه الخوف والقلق من العالم الآخر، وهذا ما تعكسه الملحمة في صورة صراع الإنسان مع الموت وضرورة تقبل هذه الحقيقة على مرارتها، مما دفعه إلى اقتناص لحظات اللذة والسعادة والمباهج الممكنة. [86]

ثالثاً: دور الفلسفة في الحضارة الهندية القديمة

فنجدها قريبة من الفكر المصري، إذ سيطرت (الأوبانيشار) على الفلسفة والديانة الهندية لمدة طويلة، وهي الأجزاء الأخيرة من الفيدا، وجوهر هذه الفلسفة الإيمان بالإله الواحد الذي يتجلى في جميع آلهته الفيدا، فالإله الواحد هو الذي يتنزه عن الأوصاف المادية والعضوية، وهو الحقيقة الوحيدة القائمة بذاتها، وقد ميز (الأوبانيشار) بين الإله الخفي براهمان الذي يتعالى عن الظهور والإدراك، براهمان الذي يظهر في هذا الكون ومخلوقاته.

كما شددت (الأوبانيشار) على الجانب الأخلاقي، ودعت إلى الابتعاد عن الأنانية والتمسك بالحكمة، فالفضيلة واللذة يأتيان للإنسان، والحكيم هو الذي يختار الفضيلة ويبتعد عن اللذة، والجاهل يترك الفضيلة على حساب اللذة. فالوصول إلى الحقيقة ومعرفة

---

[83] قسطنطين، **في معركة الحضارة**، ص105.

[84] الشناوي، **الدين في الحضارات الشرقية القديمة وأثره على الديانات السرية والفلسفية لدى اليونان**، ص 92_ 99.

[85] حسين، **الصراع في ملحمة جلجامش _ قراءة في جدلية الملحمة**، ص5.

[86] النشار، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**، ص120_122.

الإله تتطلب التحرر من الوجود المادي والتهيؤ الأخلاقي الذي يرفض الأنانية، ويحض على الصلاة إلى الإله وتقديم القرابين له، بالإضافة إلى التسلح بالصبر والزهد والورع.[87]

رابعاً: دور الفلسفة في الحضارة الصينية

وقد انفردت الحضارة الصينية القديمة بنزعتها الإنسانية من خلال التركيز على الإنسان وتكامله مع الطبيعة، واعتباره أداة تحقيق القيم المطلقة في العالم. ويعد (كونفشيوس) مؤسس الفلسفة الصينية التي تتمحور في الإنسان وسبيل تحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع الاقطاعي، فابتعد عن الدين والحديث عن الإله (السماء) من أجل الاهتمام بالإنسان وتكريس الجهد في حياته الإنسانية والطبيعية، فحول فكر الصينيين ونظرهم إلى الإنسان بعيداً عن خوارق الطبيعة والتفكير بها.

ويرى (كونفشيوس) أن الإنسان بطبيعته خيِّر، ويتغير من خلال العادات والمعارف التي يكتسبها يوماً بعد آخر، والطبيعة البشرية مستقيمة، وما إن تفقد استقامتها حتى تفقد سعادتها. فالمبدأ الأخلاقي الاسمى المنطوي في الطبيعة الإنسانية يحكم سلوك الإنسان وعلاقته مع الآخرين، وهذا يعني أن الإنسان يجب أن يحب الناس جميعاً، وأن يعاملهم كما يحب أن يعامل، وبالتالي عليه أن يعوِّد نفسه على آداب اللباقة والاحتشام.

وقد ساهمت هذه الفلسفة في رسم تصور سياسي أراده (كونفشيوس) لحضارته، إذ من الضروري علو الجانب الأخلاقي، فالأخلاق هي المبدأ الضامن لنظامٍ سياسيٍّ مستقر، فلا يمكن للملك أو الحاكم أن يقيم نظاماً اجتماعياً دون ارتقاء أفراده أخلاقياً. وعندما وصل (كونفشيوس) إلى منصب الوزراء طبق هذه الفلسفة، فتخلص من الأشخاص الفاسدين وأعدم من ظنهم أساس الاضطراب في البلاد، فالحاكم العادل يجب أن يتمتع بالأخلاق والمعرفة ويسعى إلى نشرهما بين الناس.

بهذه الأفكار تجلَّت مثالية (كونفشيوس) الحضارية، وبذلك كان سبَّاقاً بتصوراته لأفلاطون في مدينته الفاضلة.[88]

خامساً: دور الفلسفة في الحضارة اليونانية

وإذا ما انتقلنا إلى الفلسفة اليونانية القديمة نجدها انقسمت إلى ثلاثة أطوار، ويعد الطور الأول في العصر الهيليني البذرة الفلسفية لباقي الأطوار، إذ تأثرت فيه الفلسفة بالفلسفات الشرقية، فظهر بعض الفلاسفة اليونان الداعين والمنادين بالتوحيد على الرغم من تعدد الآلهة.

ويعد الإيليون (فلاسفة ما وراء الطبيعة) أول من دعا إلى التوحيد، فالفلاسفة الأيونيون والفيثاغورثيون انهمكوا في تحليل عناصر العالم، فمنهم وجده قائماً على الماء، ومنهم من رآه قائماً على النار، وذهب البعض الآخر إلى أنه قائماً على الهواء.

أما (إكسانوفان) فرأى أن الإله واحد، والناس هم من أوجدوا الآلهة الأخرى، وهذا الإله يتنزه عن الصفات التي ألحقها البشر فيه، يقول: (هناك إله واحد هو الأعظم بين الآلهة والبشر، ولا شبيه له بين البشر الفانيين لا في الجسد ولا في الفكر).

ولم يكتفِ بمعرفة هذه الحقيقة بل سعى إلى نشرها بين الناس، داعياً إلى عبادة الإله الواحد الذي خلق كل شيء، والذي يتنزه عن النواقص. وعلى الرغم من عدم انتشار أفكاره بشكلٍ مباشرٍ إلا أنه يعد المؤسس الأول لفكرة التوحيد في الفلسفة اليونانية.[89]

هكذا استطاع الفكر الفلسفي في الحضارات القديمة من خلال الدين والأسطورة وغيرهما أن يعكس التصورات الفكرية والروحية والدينية، ويبرز أثرها في تشكيل الحضارات وتطورها وتبايناتها.

المطلب الثالث: وقفة تقييمية لقضية الدين وآثره في الحضارات القديمة:

يعد الدين في الحضارات القديمة من أهم مقوماتها، فقد برز دوره في تحديد مفاهيم وتصورات وأفكار الإنسان فيها، لا سيما في بحثه عن حقيقة وجوده ومصيره وما تحدثه الظروف والقوى المحيطة به.

---

[87] النشار، **المرجع السابق**، ص93_95.

[88] النشار، **المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية**، ص 81_ 84.

[89] الشناوي، **الدين في الحضارات الشرقية القديمة وأثره على الديانات السرية والفلسفية لدى اليونان**، ص 199.

وقد ألقى هذه الدور بظلاله على نواحي الحياة كافة، فنلحظ أثره في الحياة السياسية من خلال نظام الحكم ودور الملك الذي تجسد وكأنه الإله في الأرض ينشر تعاليم الإله الحقيقي المحتجب ولا يظهر إلا للصالحين.

وكذلك في الحياة الاجتماعية، إذ نجد أن معظم الأديان القديمة تدعو إلى الابتعاد عن الأنانية ونشر المحبة والتسامح وتوثيق العلاقات بين الناس، وهذا ما جعل الإنسان أكثر اطمئناناً فيدفعه إلى العمل بجدٍّ وكدحٍ لترك أثره الطيب بعد موته، مما انعكس على الحياة الاقتصادية والعمرانية والفكرية في تلك الحضارات.

ولعل الشيء الثابت والمشترك في تلك الأديان دعوتها إلى التوحيد (وحدانية الإله) على الرغم من تعدد الآلهة، وعدم اهتدائه إلى التوحيد الخالص الذي نجده في الديانات السماوية، إذ كانت معظم الآلهة تعود إلى القوى المحيطة بالإنسان القديم والتي أثارت حفيظته وخوفه من جبروتها فرسخت في ذهنه فكرة الخوف منها والنظر إليها بإجلال علَّه يجد الخلاص بعد الموت أو يهتدي إلى الإله الحقيقي الذي خلق كل شيء وتنزه عن الصفات المادية والجسدية.

وهذا ما يعود بنا إلى قصة ابراهيم عليه السلام _ كما وردت في القرآن الكريم _ في رحلة اهتدائه إلى الله الواحد الأحد، يقول الله تعالى{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغًا قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّي هذا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78) } [90]

والحقيقة الراسخة أن الإنسان بفطرته عرف الله الواحد الأحد منذ بدء الخليقة، ولكن ابتعد عنه إلى عبادة الأوثان والخرافات والأساطير، وهذا كان سبباً لعودة الرسل إلى الأرض ودعوتهم الناس إلى الرجوع لحقيقة خالقهم وتوحيده دون سائر الآلهة.

الخاتمة:

تتشكل الخصائص الحضارية لحضارة ما من مجموعة من الصور والمظاهر المتداخلة مع بعضها بعضاً، إذ لا يمكن الفصل بينها. وقد تنوعت بين العقلية والمادية من جهة، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية من جهةٍ أخرى، فمقدار تماسكها وتطورها ينعكس على تماسك الحضارة وتطورها وازدهارها، ومن أهم نتائج البحث:

1. إن معظم الحضارات القديمة نشأت على ضفاف الأنهار، وهو ما يعكس وعي الإنسان وتطور إدراكه في سبيل الانتقال من حالة البحث عن الغذاء إلى تأمينه بشكل دائمٍ ومستمرٍ.
2. إن معظم ما وصل إلينا حول تلك الحضارات يؤكد قيامها على نحو متقارب زمنياً على الرغم من أن نشؤها يعود إلى أقدم من ذلك بكثير.
3. معظم شعوب الحضارات القديمة كانت مزيجاً من عدة شعوب جمعتها الحاجة للاهتداء إلى طرق تضمن لها الاستقرار وتأمين الغذاء.
4. وجود علاقات تجارية بين أصحاب تلك الحضارات، وهو ما أثبتته الموجودات الأثرية التي تعود إلى الحضارات الأخرى في أرض حضارة ما.
5. عرفت البشرية وحدانية الله منذ بدء الخليقة، ولكن الشعوب ابتعدت عن هذه العقيدة إلى الوثنية وعبادة الأصنام.
6. سعي الإنسان للاهتداء إلى خالق هذا الكون، مما دفعه إلى عبادة وتأليه قوى الطبيعة حوله خوفاً من بطشها، وهو ما صوره القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام قبل أن يهتدي إلى الله الواحد الأحد.
7. حاجة الإنسان الفطرية إلى الدين، مما يعكس أهمية الدين والمعتقد على الروح الإنسانية وحاجتها إلى الطمأنينة والأمان.
8. إن أكثر الحضارات القديمة دعت إلى وحدانية الإله على الرغم من تعدد الآلهة، ولكنها لم تصل إلى حقيقة الإله الأوحد الحق (الله) خالق كل شيء، وهو ما كان سبباً في عودة الأنبياء إلى الأرض والدعوة إلى وحدانية الله.

[90] سورة الأنعام، الآية 76_78.

9. إن معظم الديانات القديمة دعت إلى إقامة العلاقات الطيبة بين الناس، والحث على عمل الخير ونبذ الأنانية وشرور النفس.
10. استطاعت شعوب الحضارات القديمة أن تبني حضارات مذهلة فكرياً واقتصادياً وعلمياً وعمرانياً ومازالت شواهدها قائمة إلى يومنا هذا (الأهرامات _ سور الصين العظيم).

التوصيات:

1. العمل على بيان دور الحضارة العربية والاسلامية في ضبط علاقات الأفراد داخل المجتمع، والسير بها في سبيل الوصول إلى مجتمع يعكس رقي تلك الحضارة ويخلد ذكراها.
2. العمل على ابراز دور الدين والفلسفة في بلورة خصائص الحضارة العربية والاسلامية ورسم ملامحها، وإظهار أثرها وتأثيرها في غيرها من الحضارات المزامنة لها أو اللاحقة لها.
3. العمل على دراسة جوانب أخرى من جوانب الحضارات القديمة من خلال تقديم دراسات وأبحاث أكثر عمقاً وتخصصاً.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أبو خليل، شوقي (2002). الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ط2، لبنان، دار الفكر.

إيمار، أندريه وأوبوايه، جانين (1986). تاريخ الحضارات العام، ترجمة: فريد داغر_ فؤاد أبو ريحان، ط2، بيروت، منشورات عويدات.

باقر، طه (2009). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، بغداد، دار الوراق للنشر المحدودة.

باقر، طه (2011). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، ج2، بغداد، دار الوراق للنشر المحدودة.

بسيوني، محمد (2002). آداب السلوك عند المصريين القدماء، الهيئة العامة المصرية للكتاب، بدون طبعة.

بن منظور، جمال الدين (2005). لسان العرب، ط4، بيروت، دار صادر.

حسين، حسين (2006). الصراع في ملحمة جلجامش _ قراءة في جدلية الملحمة، دون طبعة، العراق، مطبعة الدار العربية.

الحميدان، عبد اللطيف (2017). سنن قيام الحضارات وسقوطها قديما وحديثا مقارنة بآراء ابن خلدون، ط1، الرياض، العبيكان للنشر.

حنون، نائل (1986). عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط2، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة.

الشناوي، محمود (2002). الدين في الحضارات الشرقية القديمة وأثره على الديانات السرية والفلسفية لدى اليونان، ط1، دار الحضارة للنشر والتوزيع.

عجيبة، أحمد (2004). دراسات في الأديان الوثنية القديمة، ط1، دار النفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة.

العقاد، عباس (بدون سنة نشر). الله _ كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، منشورات المكتبة العصرية، بدون دار نشر، بدون طبعة وتاريخ.

عكاشة، علي وآخرون (1991). اليونان والرومان، ط1، اربد، دار الأمل للنشر والتوزيع.

علي، عبد اللطيف (1976). التاريخ اليوناني _ العصر الهللادي (1)، بدون طبعة، بيروت، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.

الفيروز آبادي، مجد الدين (2008). القاموس المحيط، مراجعة أنس الشامي _ زكريا جابر أحمد، ط1، القاهرة، دار الحديث.

كوفاليف، دياكوف (2000). الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط1، ج1، منشورات دار علاء الدين.

كوفاليف، دياكوف (2000). الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط1، ج2، منشورات دار علاء الدين.

مكاوي، فوزي (1980). تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة.

مؤنس، حسين (1987). الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها وتطورها، بدون طبعة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الندوي، محمد (1970). الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، دار الشعب، بدون طبعة.

النشار، مصطفى (1997). المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، ط1، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

النشار، مصطفى (2012). الفلسفة الشرقية القديمة، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

نيدهام، جوزيف (1995). موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ترجمة: محمد غريب جودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون طبعة.

قائمة المراجع المرومنة:

The Holy Quran.

Abu Khalil, Shawky (2002). ***Arab-Islamic Civilization and a Brief on Previous Civilizations*** (in Arabic), 2nd Edition, Lebanon, Dar Al-Fikr.

Ajeba, Ahmed (2004). ***Studies in Ancient Pagan Religions*** (in Arabic), 1st Edition, Dar Al Afaq Al Arabiya for Publishing, Distribution and Printing.

Al-Akkad, Abbas (without year of publication). ***Allah - A Book on the Genesis of the Divine Faith*** (in Arabic), Publications of the Modern Library, without a publishing, without an edition and a date.

Al-Fayrouzabadi, Majd Al-Din (2008). ***Almohet Dictionary*** (in Arabic), revised by Anas Al-Shami _ Zakaria Jaber Ahmed, 1st Edition, Cairo, Dar Al-Hadith.

Al-Humaidan, Abdul Latif (2017). ***The Sunnahs of the Rise and Fall of Civilizations, Old and New, Compared to the Views of Ibn Khaldun*** (in Arabic), 1st Edition, Riyadh, Obeikan Publishing.

Ali, Abdul Latif (1976). ***Greek History - The Hellenistic Era*** (1) (in Arabic), without edition, Beirut, Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Publishing.

Al-Nadawy, Muhammad (1970). ***Ancient India, Civilizations and Religions*** (in Arabic) , House of the People, without edition.

Aymar, Andre & Obboye, Janine (1986). ***General History of Civilizations*** (in Arabic), translated by: Farid Dagher_Fouad Abu Rihan, 2nd Edition, Beirut, Oweidat Publications.

Baqer, Taha (2009). ***Introduction to the History of Ancient Civilizations*** (in Arabic), 1st Edition, Baghdad, Dar Al-Warraq Publishing Ltd.

Baqer, Taha (2011). ***Introduction to the History of Ancient Civilizations*** (in Arabic), 1st Edition, 2nd Edition, Baghdad, Dar Al-Warraq Publishing Ltd.

Bassiouni, Mohamed (2002). ***Etiquette for the ancient Egyptians*** (in Arabic), the Egyptian General Book Organization, without edition.

Ben Manzoor, Jamal El Din (2005). ***Lisan Al Arab*** (in Arabic), 4th floor, Beirut, Dar Sader.

El-Shennawy, Mahmoud (2002). ***Religion in the ancient eastern civilizations and its impact on the secret and philosophical religions of Greece*** (in Arabic), 1st Edition, Dar Al-Hadara for Publishing and Distribution.

Hannoun, Nael (1986). ***Beliefs after death in the ancient civilization of Mesopotamia*** (in Arabic), 2nd edition, Iraq, General Cultural Affairs House.

Hussein, Hussein (2006). ***Conflict in the Epic of Gilgamesh - A reading in the dialectic of the epic*** (in Arabic), without edition, Iraq, Al Dar Al Arabiya Press.

Kovalev, Dyakov (2000). ***Ancient Civilizations*** (in Arabic), translated by: Nassim Wakim Al-Yazji, 1st Edition, Part 1, Dar Aladdin for Publications.

Kovalev, Dyakov (2000). ***Ancient Civilizations*** (in Arabic), translated by: Nassim Wakim Yazigi, I 1, C2, Dar Alaa El Din Publications.

Makkawi, Fawzi (1980). ***History and Civilization of the Greek World*** (in Arabic), 1st Edition, Casablanca, Dar Al-Rashad Modern.

Munis, Hussein (1987). ***Civilization: A Study in its Origins and Factors of Its Rise and Development*** (in Arabic), without edition, Kuwait, World of Knowledge Series, National Council for Culture, Arts and Letters.

Nashar, Mustafa (1997). ***Oriental Sources of Greek Philosophy*** (in Arabic), 1st Edition, Cairo, Dar Qubaa for printing, publishing and distribution.

Nashar, Mustafa (2012). ***Ancient Eastern Philosophy*** (in Arabic), 1st Edition, Amman, Dar Al Masirah for Publishing, Distribution and Printing.

Needham, Joseph (1995). ***Brief History of Science and Civilization in China*** (in Arabic), translated by: Mohamed Gharib Gouda, General Egyptian Book Organization, without edition.

Okasha, Ali et al. (1991). ***Greece and the Romans*** (in Arabic), 1st Edition, Irbid, Dar Al-Amal for Publishing and Distribution.

المراجع الأجنبية:

Britannica, T. (2008). Ligurian. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/topic/Ligurian

Custer, C. (2019). Yangshao Civilization in Chinese Culture. https://www-thoughtco-com.translate.goog/history-of-the-yangshao-culture-688048

Gabrielli, A. (2020). Huang He Valley. National Geographic Society. https://www-nationalgeographic-org.translate.goog/encyclopedia/huang-he-valley

Harris, T. (2002). "How Nirvana Works" HowStuffWorks.com. <https://science.howstuffworks.com/science-vs-myth/extrasensory-perceptions/nirvana.htm> 16 April 2022